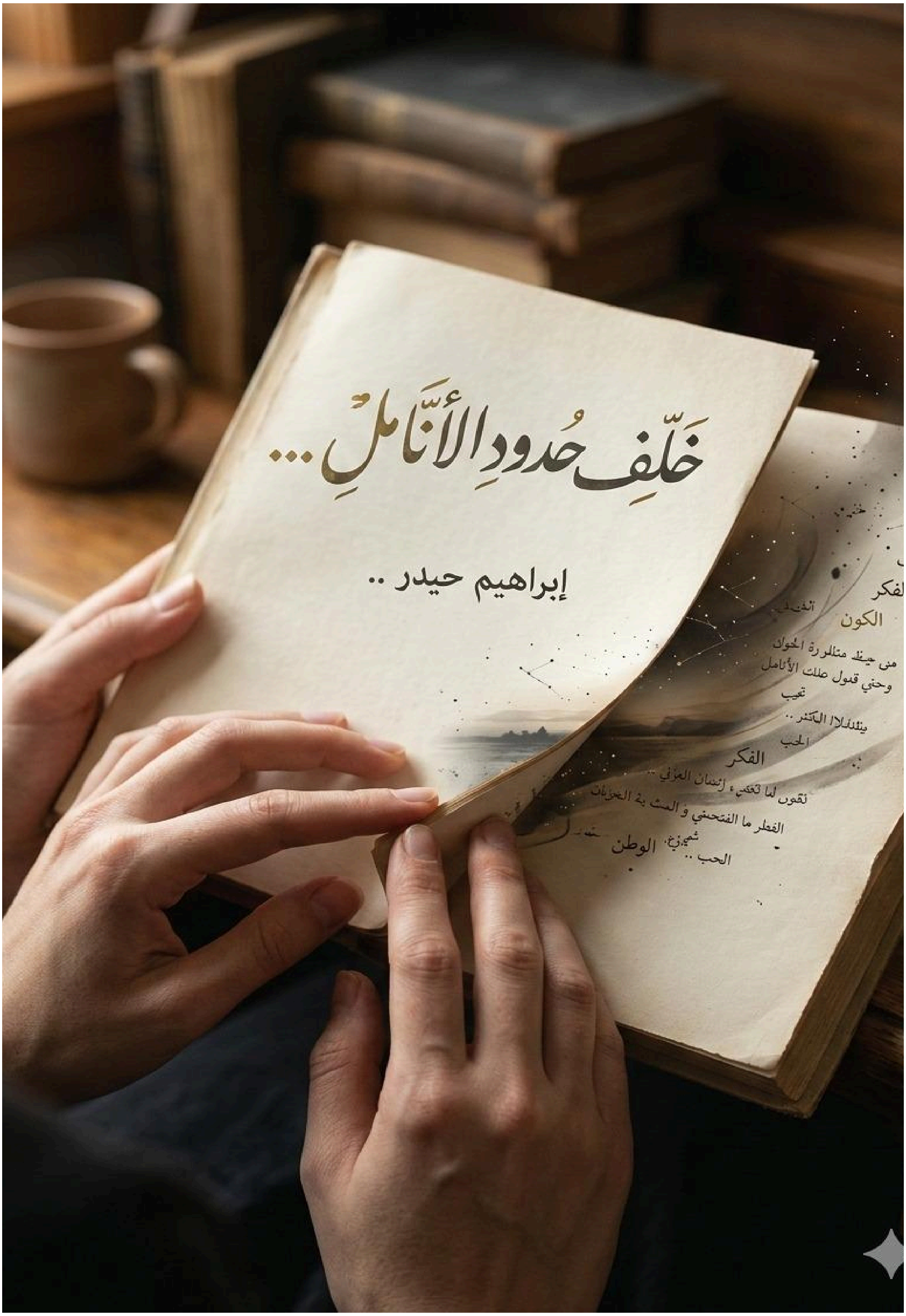

خَلّفِ حُدودِ الأنَّاملِ...
إبراهيم حيدر ..
الفكر
الكون
الفكر
الوطن

خلف حدود الأنامل

إبراهيم حيدر

اللغة أداة للتعبير، وليست مقياساً للهوية

الكاتب : إبراهيم حيدر

خلف حدود الأنامل

نصوص نثرية وتأملات

النشر: 2026

النوع: نصوص نثرية وخواطر

الطبعة: رقمية – 2026

IH • P003 • S03 • A001 • 2026

بعض الكتب تُكتب لتُقرأ،

وهذا الكتاب كُتب ليُعاش.
هو ليس حكايةً واحدة،
بل أثرُ حكاياتٍ مرّت من هنا
وتركت في القلب ندبةً... أو نورًا.

إهداء

إلى الغربة...

التي علّمتني أن الجذور لا تُرى، لكنها تُمسك بنا أكثر مما نُمسك بها.

إلى عائلتي...

السند الذي لا يميل مهما تبدّلت الفصول.

إلى كل سؤالٍ أقلقني...

وكل وجعٍ مرّ بي ولم يكسرني، بل فتح لي نافذةً على نفسي.

وإلى القارئ...

الذي يؤمن أن بعض العوالم لا تُحَسّ باليد،

بل تُكتَب... لتُرى.

ليس البيت مكانًا أعود إليه،

بل حقيقة أعود فيها إلى نفسي.

هو المساحة التي لا أحتاج فيها أن أكون قويًا،
ولا مضحكًا،
ولا مفهومًا.

هناك...
لا أُقاس،
لا أُقارن،
لا أُختبر.

أكون فقط.

وكلما اشتدّ العالم عليّ،
تذكّرت أن لي بابًا
أخلع عنده خوفي،
وأدخل كما خُلقت:
صادقًا...
وهشًّا...
وآمنًا.

مقدمة

بين دفّتي هذا الكتاب

لا أقدّم كلماتٍ مرصوفة فحسب،

بل أفتح نافذةً على ما فاض من داخلي

حين عجز الصمت عن الاحتواء.

هذه الصفحات ليست تصنيفًا أدبيًا بقدر ما هي محاولة فهم.

مساحة يلتقي فيها المقال بالخيال،

والذكرى بالحيرة،

والشوق بالسؤال.

كتبتُ لأن بعض المشاعر لا تهدأ إن بقيت في القلب،

وبعض الأفكار لا تتضح إلا حين تُرى مكتوبة.

إليك هذا الخليط من واقعي وخيالي،

لعلّك تجد بين السطور صفحةً تشبهك،

أو سؤالًا يشبه سؤالك،

أو نافذةً تطلّ منها على نفسك.

الفهرس

بعضُ الأسئلةِ مفاتيح..

تفتحُ عوالماً لم نكن نجرؤُ على رؤيتها.



ماذا تخبئ داخل قلبك؟

استوقفني هذا السؤال.. وبقدر ما بدا قصيراً وبسيطاً، كانت الإجابة عنه مخاضاً عسيراً وطويلاً.
سألتُ نفسي ضاحكاً بمرارة: هل نعرف حقاً ما يدور في تلك المضغة الصغيرة؟
حاولتُ التفكير، غرقتُ في التفتيش خلف الستائر، وبحثتُ جاهداً عن سرّ ما أخبئه، لكنني وجدتُني أضيعُ في دهاليز الزمان؛ بين ماضٍ مضى، وحاضرٍ يمرّ، ومستقبلٍ مجهول.

هناك.. وجدتُ الوجع والهموم والندوب، أكثر بكثير من لحظات الفرح العابرة.
شاهدتُ ألماً لا أعرف متى وكيف تناثر في أعماقي، وذهلتُ من حجم الوجع الذي استوطنني دون إذن.
لماذا أنا متعبٌ إلى هذا الحد؟ ضائعٌ، حائرٌ، وتائهٌ في زحام ذاتي؟
أيقنتُ حينها أن بعض الأسئلة، مهما بدت تافهة أو بلا مغزى، هي "مفاتيح" لعوالم لم نكن نجرؤ على رؤيتها.. تجعلنا نكتشف، بدهشةٍ حزينة، كم نحن غرباءٌ حتى عن أنفسنا.

فهمتُ معنى أن يولدَ الإنسانُ حقاً..

حين وجدَ اسمي سكينتَهُ إلى جوارِ اسمكِ.



عن العمر الذي لا يُقاس

لم أفهم معنى الولادة يوم جئتُ إلى هذا العالم،

فقد كانت مجرد بداية بيولوجية،

حدثًا جسديًا لا أكثر.

لكنني فهمتُ معنى أن يولد الإنسان حقًا

حين وجدتُ اسمي يهدأ إلى جوار اسمكِ،

كأن الحروف أخيرًا عثرت على ترتيبها الصحيح.

كل ما سبقكِ لم يكن خطأ،

ولم يكن فراغًا،

لكنه لم يكن اكتمالًا أيضًا.

كان زمنًا يتدرّب على احتمالكِ،

وقلبًا يتعلّم ببطء

كيف يفسح مساحة لامرأة

ستعيد تعريف النبض.

في اللحظة التي أحببتكِ فيها

لم أشعر أنني أضيف عامًا جديدًا إلى عمري،

بل شعرتُ أنني أُسقِط أعوامًا كاملة

وأبدأ من نقطة أكثر صدقًا.

منذ ذلك اليوم

لم أعد أحسب الزمن بالسنوات،

بل بعدد المرات التي أنقذتِ فيها روحي

من تعبها الخفي،

بعدد الضحكات التي جعلتِها

تتسلّل إلى قلبي

كضوءٍ يعرف طريقه دون أن يُدلَّه أحد.

الحب، كما أفهمه الآن،

ليس وعدًا بالبقاء،

ولا خوفًا من الفقد،

بل سكينة.

أن أكون معكِ

وأشعر أنني لست مضطرًا

لأن أشرح نفسي للعالم.

أن أستيقظ

وأجد أن وجودكِ

كافٍ ليجعل هذا اليوم

مستحقًا لأن يُعاش.

إن كان للعمر معنى،

فهو أن نلتقي بمن يجعلنا

أكثر حقيقة.

وأنا منذ عرفتكِ

لم أعد أبحث عن حياة أطول،

بل عن حياة أصدق.

ووجدتها... فيكِ.

غيابُكِ لم يكن مجردَ مسافةٍ..

بل كان انقطاعاً حاداً في أوكسجينِ الروح.



غليان الشوق

حين يتصاعد عبير القهوة المغلية.. يغلي معه فؤادي شوقاً لرؤياكِ.

كم أشتهي الآن فنجان قهوةٍ من يديكِ؛ فنجانٌ واحدٌ يملك القوة ليختطفني من واقعي المرّ، ويرميني في أحضان حضوركِ، لعلّني أنسى هناك تعبي، وأرقي، وكل ما أثقل كاهلي.

فنجانٌ يمنحني تذكرة عبورٍ إليكِ.. لأعيش معكِ، ولكِ، وفيكِ فقط.

أَمْشِي وَكَأَنَّ الأَرْضَ غَرِيبَةٌ عَنِّي..

أَوْ كَأَنَّنِي غَرِيبٌ عَن نَفْسِي فِي هَذِهِ الجِهَاتِ الأَرْبَعِ.



تيهٌ في الجهات الأربع

أحتارُ في لوعةِ شوقي إليك؛
أهي ذنبٌ أستغفرهُ بدمعي، أم خطيئةٌ أعتنقها بقلبي؟
كأنك القضاءُ الذي لا مفرَّ منه،
فأين السبيـلُ إلى الفرارِ منك.. وأنتَ المفرُّ والمستقر؟
تجاوزتُ معكَ حدودَ الحبِّ دهراً،
حتى غدا وصفي لمشاعري عجزاً لا يُفسَّر،
وصار صمتي أمام عينيكَ.. أبلغَ لغاتِ الهوى.
فلا تسألني عن مسمّى ما أشعر..
أنا الذي ضيَّعتُ في محرابكِ كلَّ المسميات.
تطاردني ملامحُك في كل زاوية،
تنبُتُ في حوافِ الذاكرة، وتسكنُ تفاصيلَ الوقت.
فكيف لي بالنسيانِ والخلاص؟
وكيف أهجرُ أرضاً.. وأنتَ فيها الجهاتُ الأربع؟
أيقنتُ أخيراً..
أنني لا أهربُ منك، بل أهربُ إليك في كل حين.

حِينَ أَهْرَبُ مِنْ وَطَنِي.. أَجِدُنِي لَاجِئاً فِي عَيْنَيْكِ.

فَلَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ عِشْقِكِ وَعِشْقِ "كُرْدِسْتَان".



وطنٌ في ملامحك

أحتارُ في لوعةِ شوقي إليك؛
أهي ذنبٌ أستغفرهُ، أم خطيئةٌ أعتنقها كما أعتنقُ حبَّ الأرض؟
كأنك "نوروز" الذي يبعثُ الحياة في روحي،
وكأني في هواك جبلٌ كُرديٌ صامد.. لا يهزه ريح.
تطاردني ملامحُك في كل زاوية،
فكيف لي بالنسيانِ وأنت الجهاتُ الأربع؟
بل أنتَ "الجهةُ الخامسة" التي أهتدي بها..
أنتَ شمسُ العلم التي لا تغيب، ونسمةُ الجبال التي لا تُفارق صدري.
أيقنتُ أخيراً..
أنني حين أهربُ منك، أهربُ إلى وطني،
وحين أهربُ من وطني.. أجدني لاجئاً في عينيك.
فلا فرقَ عندي بين عشقِك وعشقِ "كردستان"..
كلاهما قدَرٌ، وكلاهما مفرّي والمستقر.

نَحْنُ حَالَةٌ لَمْ يَعْرِفْهَا قَامُوسٌ، وَلَمْ يَكْتُبْهَا شَاعِرٌ..

حُبٌّ يَرْفُضُ التَّسْمِيَةَ، كَي لَا يَمُوتَ بِالقُيُودِ.



حبٌّ بلا اسم

كأنها شمسٌ لم تشرق في السماء،
بل أشرقت في صدري.

جاءت…
فانسحب الليل من زوايا قلبي
كغريبٍ أدرك أن لا مكان له هنا.

تبدّلت أيامي،
لم تعد ثقيلة ولا باردة،
صار الصباح يشبه اسمي حين يُنادى بحب.

وصرتُ — دون أن أشعر —
طفلًا صغيرًا
يركض نحو الضوء،
يتلهّف رؤيتها
كما لو أن العالم لا يبدأ
إلا حين تبتسم.

كأن الحياة كانت ناقصة،
ثم اكتملت بها.

لم تكن شمسًا عابرة في سمائي،
كانت فجرًا تأخر كثيرًا…
ثم جاء أخيرًا.

أشرقت في داخلي
قبل أن تشرق في الأفق،
ومدّت ضوءها إلى أماكنٍ
كنتُ أخاف أن ألمسها.

كان في قلبي ليلٌ ثقيل،
صامت...
لا نجوم فيه ولا وعد.
ليلٌ اعتدتُه حتى حسبته قدرًا،
وظننت أن العتمة جزءٌ مني.

ثم جاءت هي.

لا بضجيج،
ولا بعاصفة،
بل بخطوةٍ هادئة
تشبه اليقين.

انسحب الظلام من صدري
كما ينسحب ظلٌّ
حين يفاجئه الضوء.
وتفتّحت في روحي نوافذ
لم أكن أعلم أنها موجودة.

تبدّلت أيامي،
صار للوقت معنى،
وللانتظار نبض،
وللطريق وجهة.

صرتُ أضحك دون سببٍ واضح،
وأصغي لقلبي كأنه يحكي لي سرًا جديدًا.
صرتُ أخاف عليها
كما يخاف طفلٌ على لعبته الأولى،
وأشتاق إليها
كما يشتاق الغريب لأول وطن.

عدتُ طفلًا...
لكن ليس بضعف،
بل ببراءة.

أركض نحو الضوء،
أمدّ يدي لأمسك دفئه،
أتلهّف رؤيتها
كأن في عينيها بداية العالم
ونهايته.

معها
لم تعد الحياة أيامًا تمضي،
بل لحظات تُعاش.

وكأن الدنيا — بكل اتساعها —
كانت قطعةً ناقصة،
حتى اكتملت بها.

ومع الأيام،
لم تعد شمسًا أفرح بها فقط،
بل صرتُ أتعلم كيف أعيش تحت ضوئها.

اكتشفتُ أن العشق ليس ومضةً،
بل صبرٌ طويل،
يشبه أرضًا تنتظر المطر
وهي واثقة أنه آتٍ.

كنتُ كلما اقتربتُ منها
أشعر أنني أقترب من نفسي أكثر،
وكأنها مرآتي الأولى
التي لا تكذب.

إن كانت وطنًا،
فأنا العائد من تيهٍ طويل،
أقبّل ترابها وأبكي،
لا لأنني ضعيف،
بل لأنني أخيرًا وجدتُ مكاني.

وإن كانت محبوبًا،
فهي الاسم الذي حين أكتبه
أشعر أن الحروف خُلقت لأجله،
وأن اللغة كلها
لم تكن إلا تمهيدًا لها.

لم يعد قلبي يبحث عن الضوء،
بل صار هو الضوء
حين تذكرها.

كبر الطفل الذي في داخلي،
لكنه لم يفقد دهشته.
صار يعرف أن الحب
ليس فقط شوقًا ولهفة،
بل مسؤولية دفء،
وحراسة حلم،
والبقاء...
حتى حين تتعب الطرق.

تعلمتُ أن العشق ليس امتلاكًا،
بل انتماء.
أن أحبّ يعني
أن أكون بيتًا آمنًا،
كما كانت هي لي شمسًا
حين كنتُ ليلًا.

وهكذا...
لم تعد القصة إشراقةً فقط،
بل صارت حياةً كاملة
تدور حول معنى واحد:

أن أكون لها،
كما كانت لي...
فجرًا،
ووطنًا،
وحبًا لا يغيب.

ثم جاء الامتحان.

ليس كل حبٍّ يُختبر بالصمت،
لكن حبّنا اختار المسافة
ليثبت نفسه.

ابتعدتْ...
أو ربما أنا الذي ابتعدت،
فالطرق حين تضيق
لا نسأل كثيرًا من الذي ترك يد الآخر أولًا.

صار الضوء أقلّ حضورًا،
لكنّه لم ينطفئ.
كان كشمعةٍ في غرفة بعيدة،
أعرف أنها ما زالت هناك
حتى لو لم أرها.

في غيابها
عاد الليل يحاول الاقتراب،
لكنه لم يكن كما كان.
لم يعد سيّد المكان،

بل عابرًا ثقيلاً
أنتظر رحيله.

كنتُ أمشي في الأيام
وأحملها معي،
كأنها فكرة لا تغادر رأسي،
كأنها دعاءٌ لا يُقال بصوتٍ عالٍ
لكنه يُسمع.

إن كانت وطنًا،
فأنا المغترب الذي يحفظ تفاصيل الأزقّة
كي لا يضيع.

وإن كانت محبوبًا،
فأنا العاشق الذي يبتسم
كلما مرّ اسمها في داخله
ولو لم ينطقه.

الفراق علّمني شيئًا:
أن الحبّ الذي يولد من الضوء
لا تقتله المسافات،
بل تصقله.

صار قلبي أكثر نضجًا،
أهدأ...
لكن أعمق.

كنتُ أعرف —
بيقينٍ يشبه الشروق —
أن ما خُلِق نورًا
لا يمكن أن ينتهي في العتمة.

وطال الغياب...
حتى حسبتُ أن الانتظار صار اسمي الثاني.

لكن في صباحٍ لا يشبه الصباحات،
شعرتُ بشيءٍ يتحرّك في صدري،
كأن قلبي تعرّف على خُطاها
قبل أن تراها عيوني.

لم يكن اللقاء عاصفًا،
لم تسقط السماء،
ولم تتبدّل الأرض،
لكن داخلي...
عاد إلى مكانه.

نظرتُ إليها،
فلم أرَ الغياب،
بل رأيتُ المسافة وهي تذوب
كما يذوب الجليد حين يدرك أن الشمس عادت.

لم نقل الكثير.
بعض القصص لا تحتاج اعتذارًا،
بل حضورًا صادقًا يكفي.

اقتربتُ منها
كما يقترب العائد من وطنه،
بخطواتٍ ثابتة هذه المرة،
لا باندفاع طفلٍ خائف أن يخسر الضوء.

كبرتُ في الفراق،
وتعلّمتُ أن الحب ليس خوفًا من الرحيل،
بل ثقةً في الرجوع.

إن كانت وطنًا،
فأنا لم أعد زائرًا،
بل ابنًا يعرف حدوده وحدودها،
ويحرسها بقلبٍ واعٍ.

وإن كانت محبوبًا،
فأنا لم أعد عاشقًا يلهث،
بل شريكًا يعرف أن العشق
ليس نارًا تشتعل سريعًا،
بل دفءًا يُصان.

عادت...
لكنها لم تكن وحدها،
جاءت معها نسخةٌ أقوى مني،
وأصدق منها،
وأهدأ من قبل.

وهكذا،
لم تعد القصة إشراقةً فقط،
ولا فراقًا مؤقتًا،
بل حبًا اختبر الليل
وعاد أكثر نورًا.

حبٌّ بلا اسم...
لأن الاسم يحدّه،
أما هو
فكان أوسع من الكلمات.

وهكذا تعلّمتُ
أن الحبّ لا يُقاس بالبدايات،

ولا يُخيفه الفراق،
ولا تُنهيه المسافات.

هو نورٌ إذا سكن القلب
لا يغادره،
حتى لو غاب الجسد
أو تغيّرت الفصول.

قد يكون وطنًا
نعود إليه مهما ابتعدنا،
وقد يكون إنسانًا
نجد فيه أنفسنا بعد ضياع.

لكنّه في النهاية
شيءٌ أعمق من اسم،
وأصدق من تعريف،
وأكبر من أن يُحاصَر بكلمة.

لهذا...
تركته بلا اسم.

لأن بعض الأشياء
حين نسمّيها
نُصغّرها.

وهذا الحبّ
كان أكبر من أن يُختصر.

ـــ حبٌّ بلا اسم

نَحْنُ نُسَافِرُ فِي الزَّمَنِ كُلَّمَا نَظَرْنَا إِلَى السَّمَاءِ..

فَالنُّجُومُ لَيْسَتْ إِلَّا صُوَراً قَدِيمَةً مَحْفُوظَةً فِي ذَاكِرَةِ الكَوْنِ.



السفر عبر الزمن

السفر عبر الزمن... بين الحلم الإنساني وحدود الكون

مقدمة

الماضي أصبح ذكرى لا يمكن استرجاعها.
والمستقبل لم يصل بعد ليُحسم.
أما اللحظة الحالية فهي الجسر بين الاثنين.

منذ طفولتي كانت فكرة الزمن تثير فضولي. كنت أتخيل أن هناك باباً خفياً يمكن فتحه لنعود إلى لحظة جميلة انتهت، أو نذهب إلى المستقبل لنرى أين سنكون بعد سنوات. كانت الفكرة تبدو أقرب إلى الخيال، مثل مشهد في فيلم أو صفحة في رواية علمية.

لكن مع مرور الوقت، أدركت أن الزمن ليس مجرد فكرة رومانسية أو حلم بعيد... بل هو حقيقة نعيشها كل يوم دون أن نلاحظ تفاصيلها.

نحن نشعر بالزمن عندما تتغير حياتنا، عندما يكبر من حولنا، وعندما تتحول الذكريات إلى جزء من شخصيتنا. الزمن لا يتحرك فقط عبر الساعات، بل يتحرك داخلنا أيضاً.

الزمن في ميزان العلم

عندما بدأت أقرأ عن العلم، اكتشفت أن مفهوم الزمن لم يبقَ كما كان يُفهم قديماً.

العالم الشهير
Albert Einstein
غيّر نظرتنا للزمن بالكامل من خلال نظريته النسبية. فقد أوضح أن الزمن ليس ثابتاً للجميع، بل يتأثر بالسرعة والجاذبية.

إذا تحرك شخص بسرعة قريبة من سرعة الضوء، فإن الزمن بالنسبة له يمر أبطأ مقارنة بمن يبقى في مكانه. وإذا اقترب من جسم ضخم مثل نجم كثيف أو ثقب أسود، فإن الزمن يتغير بسبب قوة الجاذبية الهائلة.

هذا يعني أن الزمن يمكن أن يتمدد ويتقلص تبعاً للظروف الفيزيائية.

بمعنى بسيط... السفر نحو المستقبل ليس مستحيلاً من الناحية النظرية، لأن اختلاف مرور الزمن يمكن أن يدفع شخصاً ليصل إلى زمن متقدم مقارنة بغيره.

لكن الفرق قد يكون صغيراً أو كبيراً حسب مستوى التطور التقني والظروف المحيطة.

السؤال الأكبر... ماذا عن الماضي؟

لو كان الرجوع إلى الماضي ممكناً، فلماذا لا نرى أشخاصاً من المستقبل يعيشون بيننا؟

هذا السؤال طرحه أيضاً الفيزيائي المعروف
Stephen Hawking

هوكينغ اهتم كثيراً بمسألة مفارقات الزمن والثقوب السوداء، وطرح فكرة رمزية شهيرة حين نظم احتفالاً ودعا إليه مسافرين من المستقبل، لكنه أعلن الدعوة بعد انتهاء الحدث.

كانت الفكرة بسيطة لكنها عميقة: لو كان السفر إلى الماضي ممكناً، فكان من الممكن أن يرى أحدهم الدعوة ويأتي للحضور.

لكن لم يظهر أحد.

هذه التجربة لا تثبت الاستحالة بشكل قاطع، لكنها تضع احتمال العودة إلى الماضي تحت اختبار منطقي قوي.

المشاهدة... لا التغيير

عندما أفكر في احتمال السفر إلى الماضي، أقترب أكثر من فكرة واحدة: ربما يكون الممكن هو المراقبة فقط، لا التعديل.

نحن بالفعل نعيش تجربة مشابهة كل ليلة.

عندما ننظر إلى السماء، فإن الضوء القادم من النجوم الذي يصل إلى أعيننا خرج منها منذ آلاف أو ملايين السنين. نحن لا نرى اللحظة الحالية لتلك النجوم، بل نرى صورة قديمة محفوظة عبر المسافة والزمن.

هذا يجعل السماء أشبه بشاشة تعرض تاريخ الكون.

أما فكرة تغيير الماضي، فهي معقدة جداً. لأن أي تعديل بسيط قد يغيّر سلسلة كاملة من النتائج، وقد يخلق تناقضات يصعب على المنطق احتواؤها.

ولهذا أتصور أن الكون – إن سمح بالعودة – فربما يضع قيوداً تمنع العبث بالتسلسل الطبيعي للأحداث.

الثقوب السوداء والجاذبية... حيث يتغير الزمن

أحد أكثر المفاهيم التي تربط الزمن بالفيزياء هو مفهوم الثقوب السوداء.

هذه الأجسام الكونية تمتلك جاذبية قوية جداً لدرجة أن حتى الضوء لا يستطيع الهروب من حدودها المعروفة بالأفق الحدثي.

في نظرية النسبية العامة، الجاذبية ليست مجرد قوة جذب، بل هي انحناء في نسيج الزمكان نفسه.

أي أن الكواكب والنجوم لا تسحب الأشياء فقط، بل تُحدث انحناءً في الفضاء والزمن حولها، مما يؤثر على حركة الأجسام القريبة منها وعلى معدل مرور الوقت.

هذه الفكرة طوّرها وعمّقها العالم
Albert Einstein

وأصبحت لاحقاً أساساً لفهم الثقوب السوداء وتمدد الزمن في البيئات ذات الجاذبية القوية.

خاتمة تأملية

عندما أقرأ هذه النظريات وأربطها بتأملاتي الشخصية، أشعر أن العلم لا يمنحنا جواباً نهائياً، بل يفتح لنا باب التفكير في الاحتمالات.

ربما في يوم ما تتطور تقنياتنا إلى مستوى يسمح لنا بفهم الزمن بشكل أعمق، أو رصد آثاره بطريقة أكثر دقة، أو حتى استكشاف حدوده.

لكن مهما حدث، سيبقى الحاضر هو اللحظة الأكثر أهمية.

لأن الماضي انتهى،
والمستقبل لم يصل بعد،
أما الآن فهو المساحة التي نملك فيها القدرة على الاختيار وصناعة المعنى.

في هولندا..

المطر لا يبلل ثيابنا فقط،

بل يبلل ذكرياتنا أيضاً.



قهوة بطعم الطقس الهولندي

خلف زجاج نافذتي في "هولندا"، يقف العالم بلونٍ رماديّ رصين. المطر هنا ليس ضيفاً عابراً، بل هو صاحب البيت، يقرع الزجاج بإيقاع رتيب كأنه يذكرني في كل لحظة أنني "هنا"، بعيداً جداً عن شمسٍ كانت لا تغيب عن جدران ذاكرتي.

أمسك فنجان قهوتي، بخاره يتصاعد ليرسم خرائط ضبابية تتلاشى سريعاً، تماماً كما تتلاشى الوجوه في زحام الغربة. هنا، للقهوة طعمٌ مختلف؛ ليست مجرد كافيين يطرد النعاس، بل هي محاولة بائسة لاستعادة "الدفء" في بلادٍ تتقن فن البرودة.

في بلادي، كانت القهوة "ثرثرة" وجيران، وفناجين تُقرأ فيها الحظوظ. أما هنا، فالقهوة رفيقة الصمت. أشربها وأنا أراقب الهولنديين يركبون دراجاتهم تحت المطر ببرودٍ عجيب، كأنهم تصالحوا مع الطبيعة، بينما لا أزال أنا أبحث في قعر فنجاني عن شمسٍ ضائعة.

يقولون إن الطقس في هولندا متقلب، تماماً كمزاج مغترب يمرّ بين "خلف حدود أنامله" آلاف الذكريات. في دقيقة واحدة، قد تشرق الشمس بابتسامة خجولة، ثم ينهمر المطر بغزارة كبكاء مفاجئ. هذا التناقض هو نحن؛ نبتسم للحياة الجديدة، بينما تمطر قلوبنا حنيناً لما تركناه خلفنا.

سأرتشف رشفة أخرى..

القهوة هنا قد تكون بطعم الطقس الهولندي، باردة من الخارج، لكنني أصرّ على أن تظل غليانها في أعماقي. فما دامت القهوة ساخنة، وما دام القلم ينبض، فالحنين ليس انكساراً، بل هو وقودٌ لنستمر في السير، حتى لو كانت الرياح هولندية بامتياز.

"في هولندا، المطر لا يبلل ثيابنا فقط، بل يبلل ذكرياتنا أيضاً.. فتشعل القهوة حرائق الحنين."

أَخْلَعُ ضَجِيجَ العَالَمِ عِنْدَ عَتَبَتِي..

لأَدْخُلَ إِلَى سَكِينَتِي، حَيْثُ لَا أَحَدَ سِوَاكِ وَأَنَا.



حين أخلع العالم عند الباب

عندما ينضج الإنسان،
يكتشف أن الرحلة الوحيدة التي تستحق العناء ليست إلى الأمام...
بل إلى الداخل.
إلى ذلك المكان الذي لا يطلب منك أن تتجمّل، ولا أن تتظاهر بالقوة.
البيت ليس جدرانًا وسقفًا فحسب.
إنه الحضن الذي يتّسع لكسرتك قبل ابتسامتك،
والملاذ الذي لا يسألك لماذا دمعت،
ولا يلومك إن ضحكت حدّ الجنون.
هو المساحة التي تخلع عند بابها ضجيج العالم،
وتدخل كما أنت... بلا أقنعة، بلا دفاعات، بلا خوف من رأي أحد.
هناك تستطيع أن تحزن بشدّة،
وأن تفرح بعفوية طفل،
دون أن تُحاسَب على صدقك.
وقد يكون بيتًا...
وقد يكون صدرًا يحتضنك،
وقد يكون وطنًا يشبهك،
وعدالةً تعترف بك،
وأرضًا تقول لك: أنت هنا لست غريبًا.
إنه مملكتك الصغيرة التي تحكمها براحتك،
عرينك الذي لا يراك فيه أحد إلا على حقيقتك،
ومخبؤك من قسوة عالم لا يفهم هشاشتنا.
وحين تنضج بما يكفي،
تفهم أن أعظم الانتصارات ليست في أن تغزو العالم...
بل في أن تجد مكانًا واحدًا
يسمح لك أن تكون نفسك بالكامل.

نُورُوزُ هُوَ هَمْسَةُ الرَّبِيعِ فِي قَلْبِ الشِّتَاءِ..

الضَّوْءُ الذِي يَهْمِسُ لَنَا: لَنْ تُولَدَ الحَيَاةُ إِلَّا حِينَ نُؤْمِنُ.



نوروز

نوروز ليس مجرد بداية سنة جديدة،
هو وعدٌ بأن الحياة تنتصر كل عام...
أن الأرض ستخضر،
وأن قلوبنا ستجد في دفء الربيع سببًا جديدًا للأمل،
وأن كل صباح جديد يحمل الفرصة لنكون أفضل.
نوروز مبارك — لتزهر أيامكم كما تزهر الأرض.

نوروز هو همسة الربيع في قلب الشتاء...
هو الضوء الذي يهمس لنا:
لن تولد الحياة من جديد إلا عندما نؤمن بأنفسنا،
وأن الأمل أقوى من أي ليلة باردة.
نوروزتان پیروز — ليس فقط للعام الجديد،
بل لكل غدٍ تزهر فيه أحلامكم.

نوروز:
الربيع الذي يذكرنا أننا قادرون
على أن نبدأ من جديد...
كل سنة خير وبركة.

النـهاية

لقد كُتب هذا الكتاب بالحب، وبالجرح، وبالأمل. هذه الكلمات ليست مجرد حبرٍ على ورق، بل هي أصداءٌ مست قلبي ووجداني، وكانت "الشرارة الأولى" التي حوّلت صمتي إلى نص.

نبذة عن المؤلف

Ibrahim Haidar

إبراهيم حيدر

كاتب ومفكر أدبي، وُلد في مدينة عفرين. يُعرف بين العامة باسم

"Bi rêya evînê û jiyanê"

تتناول أعماله في معظمها فلسفة الوجود والحب وتفاصيل الحياة. وقد انتشرت أقواله الموجزة، التي تُعبّر عن عمق المشاعر الإنسانية، على مواقع التواصل الاجتماعي في وقت قصير. يسعى من خلال كلماته إلى ترك أثر إنساني عميق في قلوب قرّائه .

Ibrahim Haidar

-bi rêya evînê û jiyanê


فَهِمْتُ مَعْنَى أنْ يُولَدَ الإنْسَانُ حَقًّاً..
حينَ وَجَدَ اسْمي سَكينَتَهُ إِلى جِوارِ اسْمِكِ.
Ibrahim Haidar
_ عن العُمرِ الَّذي لا يُقاس، والوطنِ الَّذي هُو في الملامح، وغليانِ الشَّوقِ.